القصة الشعبية الأمازيغية في الجنوب الشرقي من المغرب

أبعاد ودلالات في الموروث الثقافي

د.ادريس محمد صقر جرادات

د. مليكة ناعيم

مركز السنابل للدراسات -فلسطين

جامعة القاضي عياض المغرب

الملخّص:

هذه الدراسة تسعى إلى توضيح الأهمية التربوية للحكاية الشعبية في بعض مناطق الجنوب الشرقي من المغرب، من أجل إحياء هذا الجانب الهام من الموروث الشعبي وتشجيع الاهتمام به لحمايته من الضياع، وتقديم معلومات تخدم صناع القرار في اتخاذ خطوات إيجابية للسياسة العامة – صنع وتنفيذ خطط للمستقبل للتكيف مع، والعمل على تلبية احتياجاتهم ضمن الواقع الذي يعيشون فيه.

اقتربت الدراسة العديد من الأسئلة، بما في ذلك:

1 – ما هي الحكايات الشعبية السائدة التي تمارس في الواقع الشعبي الأمازيغي؟

2 – ما هي أهمية التعليم من القصة الشعبية ؟

3– ما هي أبعاد القصة الأمازيغية ؟ وما علاقتها مع الممارسات اليومية للسكان؟

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي لمراقبة الحكايات الشعبية في المنطقة الجنوبية الشرقية من المغرب، واعتمدت جوانب محددة في التحليل.

كما اعتمدت المنهج التحليلي في بيان دلالات كل حكاية من الحكايات الشعبية المعتمدة والتي تم تسجيلها باللهجة المحكية الأمازيغية، ومن ثم ترجمتها إلى اللغة العربية، وقد انتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات العامة.

ABSTRACT

This study aims to clarify the educational significance of the popular story of in some areas of the south-east of Morocco to revive this important aspect of popular tradition, protect it from extinction, and provide information to decision-makers to take positive steps in public policy - make and implement plans for the future to adapt with, and work to meet their needs within the reality in which they live.

The present study raised many questions, including :

- 1What are the prevailing folk tales that are practiced in the Tamazight popular reality?

- 2What is the educational significance of teaching the popular story of Tamazight nation?

-3What are the dimensions which Tamazight story aimed to? And what are its relationships with the population's daily practices?

The study followed a descriptive approach to monitor the folk tales and its practices in the south-eastern region of Morocco and adopted specific aspects in the analysis.

It also used the analytical method to reveal the educational significance of every story of folk tales which was recorded in the Tamazight Spoken dialect, and then translated into Arabic. The study yielded a set of findings and general recommendations.

مقدمة:

يعد "الأدب الأمازيغي فرعا أصيلا، وغصنا يانعا من فروع شجرة الأدب المغربي، إذ يمكن اعتباره بشكل عام مفهوما يشمل محيطا لغويا وثقافيا بمختلف الفضاءات التي تتداول فيها اللغة الأمازيغية وبالأخص، مناطق سوس، والأطلس المتوسط، والريف بمقاييس مختلفة من منطقة إلى أخرى، ويشمل من جهة ثانية مختلف الإنتاجات الإبداعية التي أنتجها المبدعون باللغة الأمازيغية في العقود الأخيرة، من شعر، وقصة، ورواية، ومسرحية... سواء أتلك المكتوبة منها بالحرف العربي، أم اللاتيني، أم بحروف تيفيناغ[1] .

وككل الآداب العالمية فإن الأدب الأمازيغي ينقسم إلى نظم ونثر، «والجدير بالذكر كذلك، أن النثر في الأدب الشعبي الأمازيغي يشمل الحكاية، والأسطورة، والخرافة، والأمثال، والأحاجي...إلخ، ولكل جنس من هذه الأجناس خصائص فنية تميزه عن الأجناس النثرية الأخرى، ويمكن القول، إن النثر التقليدي في الأدب الأمازيغي بمختلف أجناسه، على غرار نظيره في مختلف الثقافات يدخل في عداد الموروثات السردية التي صاغها المبدع الجماعي، المجهول الهوية في معظم الأحيان»[2] .

والأدب الشعبي الأمازيغي ليس وليد اليوم وليس نتاج الحداثة، وإنما هو عريق في القدم ومرتبط بتاريخ السكان وأحوالهم في حلهم وترحالهم يحاكيهم فيحكونه، ويتطور بتطورهم ما دام مواكبا لحياتهم ومحكوما بواقعهم، «لكن ولسوء حظ المرحلة التي كان التأريخ مؤدلجا والإعلام غائبا تماما والمؤرخون لا يكتبون إلا لتمجيد روما وتعظيمها وأن التاريخ لا يكتبه إلا الأقوياء لم تصل الينا إلا أسماء قليلة جدا مقارنة بما كانت تزخر به المنطقة. وقد أشار إليها هيرودوت وأندري جوليا وسالوست ... كيوبا الثاني ... نصب له الأثينيون تمثالا في اثينا تقديرا وتمجيدا له في مهاراته الفكرية والأدبية وحبه للمعرفة الإنسانية وعشقه للأدب» [3] .

وعلى هذا المنوال المميز في الإنتاج- على الرغم من قلة التدوين- عرفت الحكاية الشعبية حضورا مميزا في الوسط الشعبي للسكان في مختلف مناطق الأمازيغ كذاكرة وتاريخ وتسلية وأداة

تربية ووعظ وتوجيه ، ولهذا نود هنا أن نتساءل ما الذي يميز الحكاية الشعبية في الجنوب الشرقي من المغرب؟

مشكلة الدراسة: تعالج هذه الدراسة الحكاية الشعبية [4]الامازيعية في بعدها السوسيو لساني، وتستحضر مجموعة من الاسئلة الفرعية، منها:

* ما فعالية رواية القصص الشعبية في ظل عصر العولمة وطغيان الفضائيات والانترنت؟

*لماذا لا تعطي المؤسسات التربوية والاجتماعية القصص الشعبية الاهتمام الكافي؟

حدود الدراسة: تحدد الدراسة إمكانية تعميم نتائجها في ضوء المحددات الآتية:

*حدود الدراسة: اقتصرت هذه الدراسة على ما روته السيدة امزيلي فاطمة من منطقة بومالن دادس التابعة لعمالة تنغير، حوالي 65 سنة، على أن الدراسة ستواصل البحث في المجال ومناقشة ما جمعته من القصص والحكايات والأمثال أيضا.

*الحدود الزمنية: تم جمع القصص الشعبية خلال العام 2014/2013م.

*الحدود المكانية: تطبق الدراسة في منطقة بومالن دادس عمالة تنغير بالمغرب.

أهداف الدراسة:

1-العمل على إحياء جانب مهم من التراث الأمازيغي وهو القصص ,والحكايات الشعبية لتنميتها والمحافظة عليها.

2-العمل على تشجيع النظام التربوي على الالتفات الى القصة كعنصر رئيس وأيضا تنبيه الأسر الى أهميتها في تقليل حجم المعاناة التي يتعرض إليها الطفل والناتجة عن متابعة أفلام ومسلسلات دخيلة تخل بالقيم والأخلاق، وذلك بتوجيهه عبر دراسات مشوقة الى العودة الى التراث الثقافي والاستمتاع به.

3- تقديم معلومات تخدم أصحاب القرار، في اتخاذ خطوات ايجابية في رسم السياسة الثقافية العامة والخطط المستقبلية، بإظهار القصص الشعبية ونشرها عالميا. وبينا أن دورها لا ينحصر في مجرد التسلي وإنما تساعد في التربية على مجموعة من القيم منها أدبيات الحوار ومعاملة الاخر.

منهج الدراسة وإجراءاتها:

تتبع الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي والميداني الذي يسير وفق الخطوات التالية:

1-الجانب الوصفي لواقع القصص الشعبية في منطقة الجنوب الشرقي بالمغرب.

2-الجانب التحليلي للدلالة التربوية والمحتوى لكل قصة شعبية.

3-التوصل إلى استراتيجيات وإجراءات لتفعيل إحياء القصص الشعبية.

خطة الدراسة:

1-الإطار العام الذي يشمل المقدمة , مشكلة البحث , أهمية البحث , أهدافه , حدوده . مصادره وأدواته , ومصطلحاته. إجراءات الدراسة-العينة والمجتمع والأداة.

2-عرض النتائج وتحليلها.

3-مناقشة النتائج والتوصيات.

4-قائمة المراجع والمصادر.

5-قائمة الملاحق

1- الدراسات السابقة والأدب التربوي:

الحكاية الشعبية أصيلة في الثقافة الامازيغية وقديمة قدم هذا الجنس البشري العريق في حضارته وثقافته، لكن تعاني هذه الثقافة شأنها في ذلك شأن الثقافة العربية من تأخر التدوين وندرة الكتابة، وقد بدأت العناية بها على يد المستمزغين الأوروبيين، كما هو حال الفرنسي روني باسي، الذي جمع مجموعة من الحكايات الشعبية الأمازيغية إعدادا وترجمة وتعليقا.

هذا، وقد جمع هودسون الحكايات الشعبية بمنطقة القبائل منذ بداية القرن التاسع عشر، حيث نقلها من الموروث الشفوي الأمازيغي إلى الكتابة اللاتينية، وقد خصص القس ريفيير ثلاثة دفاتر للحكايات الشعبية الأمازيغية بمنطقة القبائل بجورجورة سنة 1882م، مع ترجمتها ترجمة جزئية. وقام أيضا لوبلان دو بريبوا بنشر مجموعة منها سنة 1897م مرفقة بترجمة لها. بيد أن أهم عمل في هذا المجال ما قام به أوجوست موليرا، وذلك حينما نشر ما بين1893و1897م مجلدين

من نصوص القبائل، وذلك تحت عنوان:" الخرافات والحكايات العجيبة للقبائل الكبرى، كما نشرت مجموعة من الحكايات الشعبية الأمازيغية بالجزائر منذ سنة 1945م، وذلك في ملف الوثائق البربرية للجبهة الوطنية ، والذي كان يشرف عليه القس دالي، وهناك أعمال أخرى مشهودة في هذا المجال للباحثين الجزائريين كبلعيد آيت علي، وبلقاسم بن سيديرا، ومولود معمري، وبوليفة...

ولا ننسى أيضا دراسات أخرى كدراسة دو نوگري تحت عنوان" حكايات شعبية أمازيغية جديدة" (1897م)، وماقام به إميل لاووست في كتابه:"الحكايات البربرية المغربية" (1949م)، وما جمعه لوغيل ألفونس من حكايات بربرية في الأطلس الكبير، وما قام به كذلك رو أرسين، وذلك حينما جمع حكايات تشلحيت.

وثمة مجموعة من الكتب والدراسات والأبحاث التي تناولت الحكاية الشعبية الأمازيغية بالمغرب إبداعا ودراسة ونقدا قدمها مغاربة، منها ما يدرس الموضوع بشكل عام، كما هو الحال مع محمد أقضاض الذي ألف كتابين حول هذه الحكاية تعريفا وجمعا ونقدا ، وذلك في كتابيه:" إشكاليات وتجليات ثقافية في الريف"، و" شعرية السرد الأمازيغي، ونذكر كذلك كتاب زبيدة بوغابة بالإسبانية ، وهو تحت عنوان:" الحكايات الشعبية بالريف"(2003م) ، وهناك أبحاث للدكتور حميد الحمداوي في موقع ارفينو ومقال لفاطمة الصديقي بعنزان وأخر لموحى الموجي في: وغيرها كثير، ومنها ما يربط بالجانب التطبيقي ويركز على جهة معينة وقد قام بها دارسون مغاربة، ويمكن الإشارة إلى كتاب :" ⵖⵓⵎⵉⵢⵉ ⵏ ⵃⵎⵓⵖⵓⵏⴰⵎⵉⵔ" لعبد العزيز بوراس (1991م)، ودراسة معنونة بـــ:" قراءة في الحكاية الشعبية الأمازيغية الأطلسية: حكاية القنفوذ والذئب نموذجا" لعبد الرحمن باحوس (1997م)، وكتاب: "الحيوان في الأمثال والحكايات الأمازيغية" لرشيد الحسين(2000م)، و" الحكاية الشعبية: قراءة في نص تزمرتتالي الأمازيغي" لعبد الرحمن بلعياشي، وكتاب:" تيحيجا"، وهو كتاب حول الحكايات الأمازيغية من تأليف محمد الراضي، ومن إصدارات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سنة 2009م، ويشتمل الكتاب على تسع

حكايات من بلدة تازوطا بإقليم صافرو. وقد استقى الكاتب هذه الحكايات الشعبية من جدته'' فاضمة ميمون''، وهي نفسها القصص المنتشرة في مناطق أمازيغية أخرى وبحث عائشة بوسنينة تحت عنوان ''ثيحوجا نالريف/ الحكايات الريفية''، وذلك في بداية الألفية الثالثة. وقد طبع الكتاب في مطبعة بن عزوز بالناظور في سبع عشرة صفحة من الحجم الطويل. ويضم كتابها السردي الإبداعي أربع حكايات طويلة ، وهي:'' لفيل ءاتكتوفين''، و'' ثمغارث ثاريفاشت''، ومجموعتها الحكائية الثانية: ''ثقصيصين ناريف ءينو/ قصص قصيرة من الريف'' في بداية سنوات الألفية الثالثة ، وقد صدرت عن مطبعة بن عزوز بالناظور، وقد أشرف على طبعها والتقديم لها جميل حمداوي. وتضم المجموعة ثلاث قصص طويلة في خمس عشرة صفحة من الحجم المتوسط. ومن القصص والحكايات التي وردت في هذه المجموعة حكاية'' محند أتكواتش''، وحكاية'' جار ثناين ء.

هذا، وقد جمع محمد الأيوبي مجموعة من الحكايات الفانطاستيكية الريفية، والتي أصدرها في كتاب تحت عنوان:'' عجائب الريف: حكايات بربرية''، وطبع الكتاب سنة 2000م. وقد جمع فيه خمسة عشر حكاية عجائبية تنتمي إلى منطقة بني وريا غل (الريف الوسط) ، وقد دونها ما بين 1990و1997م، معتمدا في ذلك على امرأة مسنة ، ألا وهي: فاطمة موبحرور.

ولطلبة المعهد الملكي للثقافة الامازيغية وأساتذتهم دور مشكور في إحياء التراث الامازيغي والتعريف به ودراسته.

غير أن الملاحظ هو أن الدراسات على الرغم من أهميتها فإنها تقتصر على جهة معينة خاصة الدراسات التطبيقية، وأما غيرها فإما منظرة بشكل عام وإما مقتصرة على الجمع دون تحليل، لذلك تسعى هذه الدراسة أن تسلط الضوء على جهة منسية ضمن المجال، ويتعلق الأمر بالحكاية في الجنوب الشرقي من المغرب والتي تتميز بطقوس خاصة في الحكي وفي الموضوع وكذا في الأبعاد والدلالات.

2- الحكاية الشعبية في الجنوب الشرقي: قراءة في البنية والأبعاد والدلالات.

2 – 1 - أضواء على المصطلح:

تعتبر "المجريات" أو القصت أي: الحكايات الشعبية الشفوية" كما تسمى في أمازيغية الجنوب الشرقي من المغرب"، من المجالات الهامة التي تؤسس للهوية الذاتية للشعب والأمة من خلال عمليات السرد على نطاق الأسرة النووية الممتدة والعشيرة والقبيلة، سواء في البيت أو المضافة أو الجلسة حول الموقد أو في أماكن تجمع النساء في المساء في أماكن مألوفة خارج البيوت تسمى بـــ"أسمر" واسمها له علاقة بدلالة اللفظ العربي السمر. و«هي من الأنماط التعبيرية المتداولة لما تحظى به عالميا من عدد العشاق»[5] .

وفي المعاجم العربية نجد تعريف «الحكاية الشعبية بكونها مروية نسجها الخيال الشعبي، وتداولها الناس جيلا بعد جيل مضيفين لها ومحورين فيها. وتصفها المعاجم الغربية وبخاصة الانجليزية منها، بكونها حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة تتطور مع العصور وتتداول شفاهيا»[6]. ولا تختلف الحكاية الشعبية الأمازيغية، عما في الثقافات كلها، فهي «أحدوثة يسردها راوية في جماعة من المتلقين، وهو يحفظها مشافهة عن راوية آخر، ولكنه يؤديها بلغته، غير متقيد بألفاظ الحكاية، وإن كان يتقيد بشخصياتها وحوادثها، ومجمل بنائها العام »[7].

وتجدر الاشارة إلى أن الثقافة الشعبية للجنوب الشرقي من المغرب وأخص بالذكر منطقة بومالن دادس، تميز بين نوعين من الحكايات، وهما:

المجريات أو القصت: ويبدو اسمها دخيلا على اللغة الأمازيغية من ابنة عمها وعشيرتها اللغة العربية، واسمها دال على معناها، بمعنى ما جرى، أي أنها النوع من القصص ذو الطابع الواقعي وفق معتقد السارد والشائع في الثقافة الشعبية ولدى الرواة عبر الأجيال، والحديث عن الواقعية هنا لا يعني التأريخ لأحداث حقيقية وإنما هي نوع من القصص التي تحكى مميزة بخصائص السرد ومكوناته من البداية والعقدة ثم النهاية، لكن أحداثها وشخصياتها قد تكون واقعية كما قد تكون خيالية أيضا لكن يهدف الحاكي وفق تقنياته في الإقناع وتنويع لغة سرده الى أن يضفي عليها طابع

الواقعية، وقد تجمع بين النوعين وهو ما يحقق وظيفة الإثارة والتشويق، وأما اللغة المستعملة فهي نفسها اللهجة الامازيغية لكن قد تزينها مصطلحات تليدة وبعض الأقوال السائرة أو النظم رغبة من السارد في إثبات الأصالة وللمزيد من الإثارة والتشويق[8]. ونجد هذا التمييز بين النوعين أيضا، بين القصة والحكاية باعتبار علاقة الحدث بالواقع في الثقافة العربية لكنه يبدو تمييزا غير دقيق.

الحديات: وهي الحكايات ذات الطابع الخرافي والأسطوري، وهي ما يعرف بالحكاية الشعبية الخرافية، دون التمييز على مستوى المصطلح بين الخرافة والأسطورة والحكاية، وهو مصطلح قريب من المتداول في الريف المغربي للإشارة الى هذا النوع من الحكاية الشعبية مع تغيير في بعض الحروف وهي مسألة مطردة بين تريفيت وتمازيغت، والتغير الصوتي هو أساس التمييز بين لهجات اللغة الواحدة، يقول جميل الحمداوي: «من المعلوم أن المصطلح الأمازيغي الأنسب لترجمة الحكاية الشعبية هو مصطلح'' تحاجيت''، وهو قريب من الكلمة العربية ''الأحجية''، وهذا دليل قاطع على مدى تأثر الحكاية الشعبية الأمازيغية بمنطقة الريف بنظيراتها من الحكايات العربية الإسلامية. ولقد استخلصنا هذا المصطلح من اللازمة السردية التي تتكرر في بداية كل حكاية شعبية أمازيغية ريفية، وهي على الشكل التالي: '' حاجيت ماجيت...» [9] .

إن هذا المصطلح يبدو أيضا دخيلا على اللغة الامازيغية في الريف من ابنة عمها العربية مع تنوع في المدلول تنوع العموم والخصوص إذ يطلق في الثقافة العربية على الأحاجي بمعنى الألغاز، وفي الريف يدل على الألغاز والحكايات، يقول الباحث الأمازيغي محمد أقضاض: فكلمة'' حجيت'' مشتقة من كلمة عربية، وأصلها الأحجية جمع أحاج، وهي الكلام المغلق كاللغز، يتحاجى الناس فيها الأحاجي، صنفا من الألغاز. وقد حورت الكلمة من معنى حكايات الألغاز إلى الحكاية الشعبية، فأصبحت تعني الحكاية بعد تمزيغها، إلا أن حكاية الأحاجي في الريف (أتحاجيت أنتوافيت) مازالت تحتفظ بالمعنى العربي، فيقول راوي اللغز في الأدب الشعبي الريفي'' حجيتك'' لتدل على المعنى اللغوي وعلى معنى المحاججة (اختبار المنطق وسرعة البديهة)[10] .

ومع هذا الطابع الاشكالي للمصطلح فلا أتفق مع قول الباحث المغربي رشيد الحسين:« إننا نعتقد أن كل الأنواع الأدبية التي ذكرناها سابقا (الحكاية والأمثال والخرافة والأسطورة...)، شأنها في ذلك شأن كثير من المفاهيم المجردة والقضايا الفكرية لا يطلق عليها أجدادنا الأمازيغ أسماء تميز بعضها عن االبعض، فحينما يتحدثون عن الحكاية يقولون '' ئمين'' أو '' ؤميين'' أو '' تيمينين'' جمع '' تمنيت'' أو '' تيبودمياتين''، ويدخلون في هذا المصطلح الحكاية ذاتها والخرافة والأسطورة والنوادر والنكت إلخ...أو يعبرون عنها أحيانا بكلمة'' لقيست'' التي جاءت من الكلمة العربية'' القصة'' أو'' تلاسين'' في بعض اللهجات الأمازيغية، لأن البعض الآخر منها لا يتوفر على هذه اللفظة كما هو الشأن بالنسبة لتاشلحيت مثلا»[11]. صحيح هناك تباين طبيعي في المصطلح، وهو مشكل لا يخص الثقافة الامازيغية وإنما يظهر بشكل جلي أيضا في ابنة عمها العربية لا في مجال الحكي الشعبي فحسب، وإنما أيضا في علوم الألة والأدب والنقد. فمنطقة الجنوب الشرقي للمغرب تميز بين المجريت أو القصت التي تفيد الحكاية الشعبية والحديت التي تفيد الحكاية الشعبية ذات الطابع الخرافي أو الخرافة. والحكاية أيضا في اللغة العربية مشتقة من معناها الذي هو الحكي، وظاهرتا الترادف والمشترك اللفظي من الخصائص المميزة للغات.

ويتبين لنا من كل هذا أن مصطلح الحكاية الشعبية يثير في الساحة الثقافية الأمازيغية كثيرا من الجدل الفكري والأدبي والفني، وذلك بسبب الاضطراب والالتباس واختلاف المصطلح من منطقة إلى أخرى، وعلى الرغم من هذا الاضطراب والتداخل الاصطلاحي والمفهومي، فإننا سنحتفظ بالمصطلح المتداول في االجنوب الشرقي، وهو الحديات كمصطلح عام، والقصت كمصطلح مفيد للحكاية الشعبية سيرا على المنوال المتبع في مثل هذه الدراسات [12].

2 – 2 - خصائص الحكاية الامازيغية

تتنوع القصة الامازيغية من حيث موضوعاتها، وشخصياتها، وأهدافها، وطبيعة رواتها، فمنها ما يتخذ من الحيوان أساس الحدث والشخصيات ويرسل من خلالها رسائل قوية، وهناك ما يروى على ألسنة الجن، والغيلان والشخصيات الخرافية ثم هناك ما ينقل على ألسنة الأشخاص سواء

كانوا حقيقيين أو وهميين، لكن تبدو معظم الأحداث ذات علاقة بواقع الساكنة ومرتبطة بهمومهم وطقوسهم في العيش والسكن والاحتفال والزواج والتسيير، لذلك تكون حقيقية أو قريبة مما يصدقه العقل ولعل هذا ما يميزها عن الحْديات بمعنى الحكايات الخيالية.

تتسم القصة الأمازيغية أيضا بنوع من التداخل بين الواقع والخيال، وبين الاشخاص الحقيقيين والوهميين، وذلك بحكم واقع المنطقة الواقعة في الريف وما تعرفه قديما من سيطرة الأمية والجهل وتصديق السكان لما يروى عليهم من قصص الغول والغولة والوحوش وغير ذلك من مسائل يصعب الفصل فيها بين الواقع والخيال، وقيام حياتهم على الرعي وامتهانهم الحطب والفلاحة وغير ذلك مما يربطهم بالطبيعة بل تجد الراوي يحرص على أن يقنع القارئ والسامع بصدق كل ما يرويه عن طريق أنواع اللغات المستعملة ويحذره أحيانا من تكذيبها بانتقام الجن أو تسلط الوحوش. لذلك يصعب في معظمها التمييز بين الحكاية و الخرافة، أو بين المجريات و الحديات، وانما نلاحظ التداخل الكبير على مستوى اللغة أيضا، لأنه تراث شفوي يخضع لسلطة الراوي وحنكته وتأخذ منه عوادي الزمن الشيء الكثير مع تأثر اللهجات المحلية باللغات الأخر، خاصة العربية ولغة المستعمر الفرنسي.

لسرد القصة الشعبية ضوابط مهمة وتحتاج إلى قوة ذاكرة ومهارة في العرض والقدرة على التأثير في المستمعين من خلال الاستماع والإصغاء والمشاركة الوجدانية والمتابعة مع الراوي، وهذا يطرح مجموعة من الخصائص التي تميز القصة كنوع من الادب الشفوي، خاصة الاختلاف في الروايات والتنوع في الأحداث، وهنا يبدو أثر الواقع والهدف من القصة، كما تبدو أهمية التدوين في حماية هذا النوع المميز بأحداثه وأبعاده ودلالاته من التلف والضياع أمام سيطرة وسائل الترفيه الحديثة وتراجع دور الحكاية.

ولعل ما يميز البيئة الأمازيغية بشكل عام وقبائل الجنوب الشرقي على وجه الخصوص أن الراوي غالبا ما يكون المرأة، وهو الجدة أو الام التي تنتظر بشغف غروب الشمس ليحوم حولها أفراد العائلة صغارا وكبارا بعده نوعا من الاحترام، لإمتاعهم بأهم القصص والحكايات المليئة

بالدلالات والعبر في زمن يفتقد لآليات الترفيه من تلفاز وانترنيت وهاتف و...، وتحرص على أن تضفي على القصة من لمستها الخاصة لتظهر براعتها في الحكي والحفظ ولتجعل المستمع يستمتع بسماعها وتضعه في حفنة التشويق انطلاقا من طريقة سردها خاصة في قالب يتمازج فيه الخيال بالواقع، متتبعة في ذلك مجموعة من عناصر التشويق والإثارة بتلوين صوت وفق تبدل الشخصياتـــ، ومفاجأة المستمع ببعض الأسئلة لاختبار ذكائه ومتابعته للحكي، وتقليد بعض الحيوانات، وتشخيص الغول والغولة من خلال توظيف إيماءات الجسد وغيرها من عناصر التشويق والإثارة التي تثير انتباه السامع لتتبع ما يحكى له الإقناع أيضا بواقعيته، على الرغم من ان ما ترويه اقرب الى الخرافة منه الى الصدق، وقد تلجأ إلى اسلوب التهديد إذا لاحظت بعض الاستهزاء أو عدم التصديق بأن ذلك قد يغضب الجن فينتقم، وتربط ذكره بالبسملة لأن الجن ككل الارواح الغريبة لا يخفيه الا قول بسم الله الرحمن الرحيم ورمي الملح (نبدر ربي نكر تسنت) ولا ينبغي ان يسمعه الصغار ابدا (اطورط وييمزين بمعنى الاطفال الصغار اصماء عن سماع اسم الجن)، فما هي دلالات القصة الامازيغية؟ وما أدبياتها؟

2 – 3 - القصة الامازيغية: قيم ودلالات

للقصة المازيغية، كغيرها من القصص، رسائل متعددة: تربوية واجتماعية ودينية واقتصادية واخلاقية وسياسية تسعى إلى تبليغها من خلال رواية أخبار ومواقف واقعية أو خيالية يعجب بها الناس وتربي لقيم مختلفة. إنها موضوعات لا تخص النموذج قيد الدراسة وانما هي طابع للادب الامازيغي، وبرتبط أصلا بقيم السكان ذوي الطابع القبلي في العيش المتميز بالتضامن في القصبات، والاحتفاظ بتجمع الاسرة الكبيرة في السكن وعلى مائدة الاكل، وسلطة الرجل والعيش الجماعي لأفراد الاسرة، وامتلاك العجوز مفاتح الخزينة وتحكمها في العروس، وخروج المرأة في الصباح الى الحطب او الحقول وما يرتبط به من المخاطر على جسدها وشرفها، والتداخل بين الاجناس والرفق بالغريب والاحسان اليه، وتختلف المضامين من فترة إلى أخرى حسب الواقع الاجتماعي السائد، لكنها لا تخرج في الإطار العام عن مضامين محدد، مع تميز لما يجسدها بحسب المناطق[13]، وهي:

1 - مضامين اجتماعية وإنسانية: عالجت فيها الحكايات الشعبية قضايا الفقر والجوع والظلم والقهر والعدل والمساواة والحرية[14] . وتعكس في المنطقة قيد الدراسة ما طغى في الزمن الماضي من سلطة الرجل وحيلة المرأة والصراع الدائم بين العروس والعجوز وتحايل زوجة الاب على ربيبتها لتشويه صورتها امام الاب، والصراع العنصري بين الجنسين الأبيض والأسود التي ما تزال بعض مظاهره قائمة الى الان والتي لها حضور في مختلف انواع الادب الشعبي(اسوقين دامزيغن)، والاحتفاء بميلاد الابناء والسخرية من اب البنات,,,,

2 ــ مضامين سياسية: يجسّد فيها الخيال الشعبي مشاعر الانتماء[15]واشكال الدفاع عن وحدة القبيلة في مواجهة الظروف السياسية المعادية من مثل الاستعمار والخونة. ويصور فيه الراوي واقع المنطقة وما عرفته من سلطة شيخ القبيلة وامغار وتهديد للسكان وسلبه لاراضيهم بالقوة واختطافه للبنات وتشغيلهن في بيته مجانا، وكذا فترة الاستعمار والجواسيس، ومظاهر السيادة واشكال الحكم القبلي واثره في السكان.

3 ــ مضامين عاطفية وأخلاقية: أحداث الحكاية تجري دائماً في صورة صراع بين القوى الخيّرة الصالحة والقوى الشريرة، بينما تأتي خاتمة القصة معبرة عن تطلعات الإنسان في انتصار الخير وتحقيق العدل، وامتلاك الثروة أو السلطان، أو الزواج من الحبيبة وإنجاب الصبيان والبنات. فغالبا ما تنتهي القصص المبنية على علاقة غرامية بجملة ارترون اراو ، بمعنى ينجبون الابناء والبنات كرمز للسعادة، وهنا نلاحظ اطراد موضوع الصراع بين العروس والعجوز، وبين الزوج والحماة، والربيب وغيرها من أنواع الصراع بين قوى الخير والشر التي تعرفها القبيلة والتي يكون فيها النصر حليف قوى الخير، تعبيرا عن تطلع الإنسان البدوي دائما الى تغليب الخير على الشر لإظهار انه مهما علا وطغى سينهزم.

4ــ الشجاعة والتضحية في سبيل القبيلة: وهنا تبدو صورة المرأة الامازيغية الى جانب الرجل بالجنوب الشرقي بتضامنها وشجاعتها وقوتها في الدفاع عن القبيلة والتضحية بنفسها في سبيل شرفها وحياة الابناء وحقوق الجماعة أيضا.

3 - أدبيات الحكي في الجنوب الشرقي من المغرب:

مكان وزمن السرد الحكاية الشعبية: يبدأ زمن حكي الحكايات والقصص بعد المغرب، أقصد بعد غروب الشمس في ثقافة الجنوب الشرقي ومعظم البيئات الامازيغية، لأن في المعتقد أن حكي الرواية قبل الغروب يجعل أبناء القاص صلعا، لكن إن اضطر احدهم لمخالفة المعتقد بإصرار من أحدهم في طلب الحكي نهارا، أو كانت السماء ملبدة بغيوم تحجب الشمس فيظن السارد أنه المغرب ثم تأكد بعد ذلك أنه ما يزال في وضوح النهار، فعلى القاص أن يعتذر ويناجي الله لينجي أبناءه من الصلع (حلوغ أر تكان القومين أمجاط)، بمعنى اخترت أن لا يكون أبنائي قرعا على سبيل التوسل. إن هذا الشرط المقيد لزمن الحكي يبدو مرتبطا بعنصرين رئيسين؛ الأول: كون الراوي في معظم الأحيان من النساء وأكثر المهتمين بالسماع أيضا.

وأما الثاني: فلكون التزامات المرأة كثيرة فهي التي تقوم بأشغال البيت وخارج البيت أيضا من تغذية الماشية وحلب البقر والحطب والسقي، وغير ذلك وهي أشغال مرتبط معظمها بالنهار، ولأن الحكايات قد تشغل النساء عن أداء بعض مهامهن لجأت القبيلة إلى حيلة وضع هذا الشرط لضمان السير العادي للبيت مع تمكين النساء من بعض الوقت للتسلية هذا إلى جانب أهمية الليل باعتباره زمنا مقدسا مرتبطا بالعوالم الغيبية كالجن والعفاريت، ولأن أكثر اهتمام المرأة بالجمال ومن عناصره الأساس الشعر وهو عنصر مقدس عند الكثير من الأمم، ربطوا من خالف العرف بفقدان الأبناء لأهم عنصر في الجمال وهو الشعر، فهو إذن التحايل لضمان أداء المرأة لكل مهامها. وهذا النوع من الحيل موجود بكثرة في المنطقة حتى فيما يتعلق بالأطعمة، فمثلا يمنعون الفتيات قديما من أكل زبدة البقر بدعوى أنها تنبت اللحية للفتاة لتحتفظ بها للرجال. ولعل هذا تحايل أكثر صلاحية ليومنا هذا مع أدوات التواصل الاجتماعي التي تسلب بعض الشباب بل الأطفال كل الأوقات فو قلنا إن الإدمان على الفيسبوك لأكثر من ساعة في اليوم يسبب الصلع أو البثور السوداء في الوجه؟ هل يؤدي الى نتيجة تساعد في الحث على حسن استغلال الوقت في الأمور المفيدة كما كانت بالنسبة لفن الحلقة والحكي؟

وكما لا يحكى نهارا، فمن الأدبيات أن لا ينام القاص قبل أن يتم القصة التي شرع في قصها على جمهوره، لأن في المعتقد أيضا أنه إن نام قبل إتمامها سلط عليه الجرذان طيلة الليل، وان اضطر لظرف ما للتوقف والنوم قبل الإتمام، فعليه أن يتعوذ بالله من الجرذان، وأن يقول اللازمة المشهورة في الظرف وهي، (افيلو نلحرير كمينو اريكنسان اوردان)، بمعنى خيط من حرير في فمي لن يبيت في الجرذان، كدليل على أن السارد يريد متابعة السرد غدا وأن الأحداث ستتوالى وستبتدئ من حيث توقف وهو دلالة الخيط أي الرابط بين الأحداث. إن هذا الشرط أيضا مهم جدا ومرتبط بحياة البادية، لأنه لو لم يتمم القصة سيبقى المتلقون منشغلي البال بأحداثها ومتشوقين لنهايتها إلى الليلة الأخرى وهذا سيثني بعضهم عن أداء المهام، ولذلك كان من الأدب الإتمام للحيلولة دون هذا الانشغال، وهو أمر نلاحظه الآن في المسلسلات المدبلجة الطويلة، إذ المهتمون ينشغلون بالحدث التالي مباشرة بعد انقضاء الحلقة ، وينتظرون بقلق وشوق الحلقة التالية وقد يدوم الوضع أكثر من سنة وفق طول المسلسل، مما يوقع البعض في الإدمان (المسلسلات التركية والمكسيكية) وضياع حقوق الجماعة.

شكل الجمهور لحظة الحكي: للحكاية أيضا شكل من أشكال الحلقة، بأن يكون الجمهور جالسا في شكل دائري حول القاص مع النظر في وجهه طيلة فترة الحكي كدليل على الاهتمام والإنصات لما يقال وتمكن الحاكي من جلب الأنظار وإثارة الانتباه، وهذا الشكل أصله من المكان الأساس الذي كانت تحكى فيه الحكايات حول الموقد ليلا وفي فصل الشتاء، ومع تطور القرى وانقطاع عادة الموقد في معظم المناطق مع دخول وسائل التدفئة الحديثة وكذا المطابخ العصرية، بقي شكل الجلوس حول القاص محتفظا بخاصيته الدائرية، وهو المعتمد في كل أشكال الحلقة والسرد.

توزيع ادوار الحكي: أشرت في السابق إلى أن الحاكي في الثقافة الامازيغية للجنوب الشرقي هو المرأة وبخاصة الام أو الجدة بمعنى كبيرة العائلة وكذا الحضور، وان الحضور لا يقتصر على الأطفال بل يشمل النساء وأحيانا أيضا الرجال، فالحكايات كانت تقوم مقام التلفاز وبمثابة أداة

لتحقيق التواصل وتقوية أواصر المحبة والاحترام بين الأجيال المختلفة، من تجمع الأسرة ككل وربما الجيران والأقرباء، وهي أمور هدمتها وسائل التواصل الحديثة إلا من رحم ربك، لذلك أحيانا قد يكون اقتراح الحضور أن يكون السرد تباعا، بمعنى كل فرد من أفراد الحضور يحكي حكاية أو قصة، وهنا يكون الدور من اليمين إلى اليسار تباعا ويستحسن البدء من الكبير احتراما له ولتشجيع الجميع على الحكي مع حسن الاختيار لما يحكى من حيث الموضوع ومن حيث الكم أيضا، فللحضور حق التحكيم، وقد يرفضون حكاية ما فيضطر الحاكي إلى تبديلها بغيرها، ربما لقصرها أو لسخافة موضوعها أو لكونها مبتذلة كثيرة التداول إلى أن مجتها الأسماع وفقدت عنصر التشويق والإثارة، ومن رفض أن يؤدي دوره حين يصله فعليه عقوبة لازمة يختارها الجمهور أو يكفيه تلك العقوبة الواردة في الاعتقاد وهو أنه سيسلط عليه الجرذان بدعاء منهم (اديك نسين اوردان)، وهنا يبدو تأثير نمط الحكم القبلي السائد الذي غالبا ما ينبني على الاحتكام إلى الجماعة، وتعتمد المرونة مع الأطفال فغالبا ما يحكون قصة القط القصيرة والموجهة بالخصوص إليهم وفق أحداثها ولغتها وشخصياتها أيضا من أجل اختبار ذاكرتهم واستيعابهم للعناصر الأساس للحكي ولاسيما العتبات وتمرينهم على الإسهام في العمل الجماعي بنظام وانتظام.

المقدمة والخاتمة في الحكاية و القصة الشعبية:

المقدمة: القصة الشعبية تستمد محتواها من التقاليد والعادات والطقوس الدينية والمعتقدات الشعبية، وهذا يتضح من الأحداث وفي المقدمات والنهايات. تبدو سيطرة السنة النبوية والآداب الإسلامية في أهمية البسملة أولا إذ كل أمر لا يبدأ فيه ببسم الله فهو اقطع، ويتلوه دعاء الراوي لنفسه والاستعاذة من أن يكون من أصحاب القيل والقال إلا أن يغزوا أو يغتنوا أو يذهبوا إلى الحج فيكن منهم (أراغ اتكا ربي دايت نان خس مش اغزان نغ غنان نغ دان سالحدج نمون ديسن)، بهذا الدعاء يقصد الراوي إلى ان يثبت للمتلقي أنه لا يحب الثرثرة ولا اللغو، وإنما كلامه له غايات وأهداف دينية إذ لا يخرج هو عن الرغبة في أن يكون من المصلحين والدعاة والأتقياء المستجيبين لأوامر الخالق وفرائضه، مما يبين أن للقصص أدوارا دينية وخلقية وتربوية ويلحظ في

المقدمات براعة في الأساليب البديعية من سجع وجناس ومقابلة وتورية، بعد ذلك تأتي الصلاة على النبي في إثارة المتلقي والتدليل على الدخول في مسألة مهمة ذات بعد ديني تثير الاهتمام وتقتضي التركيز، ولا تكفي مرة واحدة بل لا بد من التأكيد بالإكثار منها ليقنط العدو الذي هو الشيطان الرجيم، وتفرح الملائكة ويفرح النبي فهو الشفيع الذي يلح على أهمية الصلاة عليه في العتق من النيران وإدراك الشفاعة.

أما المقدمة الثانية فنراها من ما يظهر حبهم لآل البيت، حيث كل قصة تبدأ بـــ"كان هناك رجل"، يتبعه مباشرة كلازمة، أو كذكر من الأذكار الدينية التي يثاب عليها: ما الرجل إلا سيدنا علي بين الفرسان (انكر يان ارياز اركي ارياز خس مولاي علي كر امناين) والمقصود هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحيث تذكر "كانت امرأة" تتبع مباشرة كلازمة دينية بجملة: ما المرأة إلا سيدتي فاطمة بنت النبي وبنت الرسول (اريكي تمطوط خس للافاطمة اتنبي اترسول). هكذا نلاحظ تلازم في البدايات من الصلاة على النبي أولا يليه الثناء على آل البيت.

الخاتمة: كما للقصة الامازيغية في الجنوب الشرقي مقدمات أو عتبات أساس فلها أيضا خاتمة خاصة بكل قصة على حدة، ولعل ما يميز قصص الجنوب الشرقي على غيرها من قصص الامازيغ أن النهاية لا تعرف سلفا بل أحيانا تبقى مفتوحة وتترك للمتلقي فرصة التخيل والافتراض، ولها بجانب ذلك خاتمة لازمة تتفق عليها كل قبيلة وهي تركتها في الشر وأتيت في الهناء (زريغتن كالشر دوغد كالهنا)، إن هذه النهاية تدل على الطابع الدرامي الذي يطغى على معظم القصص إذ غالبا ما تحكى أوضاعا مزرية وكوارث من قصص القتل والإجلاء والاغتصاب والانتقام والفقر والحيل والظلم وغير ذلك مما يكرهه الإنسان ويتعوذ بالله منه ومما كان في المنطقة لما كانت مهمشة ومنسية، في حياته اليومية، لذلك يرغب دائما في يبتعد عن ذلك الواقع المر ويتناساه وأن يعيش أحلام ليلته على الأقل في الخير والهناء. وهذا مما يؤكد سعي الإنسان الدائم إلى تغليب قوى الخير على قوى الشر مهما طغت وعلت. وتوقه الدائم إلى غد أفضل.

وهذا يؤكد أن القصة الشعبية تستمد محتواها من التقاليد والعادات والطقوس الدينية والمعتقدات الشعبية والظواهر الكونية والتي تنقل من السلف إلى الخلف ومن الآباء والأجداد إلى الأبناء، وهي قابلة للتطور والتجديد وتتعرض لعمليات حذف وإضافة وتعديل يصعب معه ضبط المتن وكتابته، فالراوي نفسه قد يحكي لك القصة نفسها بروايات مختلفة ، لكن تبقى الشخصيات والأحداث الرئيسة ثابتة فقط التغيير يكون في الجمل أو في تعاقب الأحداث وما تتعرض له من التقديم والتأخير، وهنا يتجلى دور التشويق أيضا حيث كل سارد يسعى إلى أن يضفي على سرده أدوات التشويق . وتبقى المقدمات ثابتة ونمطية.

4- نماذج من الحكاية الشعبية: دراسة وتحليل[16]

المؤلف: لا يوجد مؤلف فالقصة عبارة عن حكاية شعبية منقولة من جيل لجيل أي منقولة بالمشافهة. والقصة تبدو كلها خيالا لأنها خرافية من نسج الخيال من خلال نقلها بالمشافهة من جيل لآخر، لكن الراوي يحاول ان يضفي عليها الطابع الواقعي عبر اللغة الواقعية من توظيف اسماء حقيقية وأماكن معروفة وظرف واقعي، الفجر مثلا، الى جانب اللغة الخيالية.

الأحداث:

لا تعدو أن تكون عبارة عن احداث عن امرأة كانت تسكن دوار امزيلن بعمالة تنغير المغربية، عرف عنها أنها اعتادت الجلوس مع صديقاتها مساء خارج البيت...في جو القصة الذي يجمع بين الواقع والخيال . فقد بدأت القصتان مع اختلاف في الأحداث بـــ: صلوا على النبي .. صلى الله عليه وسلم .. وكان يا مكان .. وانتهتا بتركتها في الشر وأتيت في الهناء.

القيم والدلالات التربوية في القصتين: هما عبارة عن حكاية شعبية مغربيه مترجمة إلى العربية، وقد نقلت بالتواتر من جيل إلى آخر لكن القصة لا تعدو أن تكون عبارة عن أحداث عن امرأة كانت تسكن دوار امزيلن في المغرب. وتحمل القصة مجموعة من القيم منها: قيمتا الشجاعة والتضحية اللتان تتصف بهما المرأة القروية، فهي تخرج قبل الفجر من البيت مع رفيقاتها وتذهب إلى الحطب وتسعى دائما كدليل على المروءة أن تكون من الأوائل، وهي تستعد لتواجه أقصى

المصاعب من مثل خروج الكائنات الغريبة التي في تصور العوام دائما أنها تعيش في الجبال وفي الغابات. كما تحمل طابع الكرم الذي يتجاوز إكرام القريب إلى ضيافة الغريب من دون شروط ولا احتراس

الشخصيات:

الشخصية الرئيسة: المرأة التي تدعى للا تفلقي : وهي الشخصية التي تدور حولها القصة وهي امرأة مسطحة دينامية تؤثر في الأحداث فقد اتصفت المرأة بالذكاء عندما فكرت في القصة الأولى في حيلة للتخلص من شر الغولة، وفي القصة الثانية عندما فكرت في حيلة لحماية طفلتيها من شر الطفل الغريب، بأن أرسلتهما إلى جارتيها دون أن يشعر الطفل الغريب بذلك هذا من جهة وتمثل قوة الخير والكرم والكفاح. والغولة في الأولى وهي أيضا شخصية دينامية تؤثر في الاحداث وتحركها فهي سبب كل التحركات التي قامت بها للا اتلفقي، وقتلها كان انتصارا للبطل ولقوى الخير على قوى الشر. والطفل الغريب في الثانية وهو أيضا ديناميكي، ويمثلان قوى الشر، وهما المحركان لشخصية البطل وانتصاره ارتبط بالتمكن من التخلص منهما لتنتصر قوى الخير على الشر.

الشخصيات الثانوية: بالنسبة للقصة الأولى شخصيات نساء الدوار اللواتي يذهبن مع للا اتفلقي إلى الحطب .. وهن شخصيات مسطحة جامدة لا يؤثرن في الأحداث، وإنما يرمزن الى الحياة الجماعية لسكان المنطقة وشكل التضامن والعمل الجماعي. والشخصيات الثانوية: طفلتا المرأة للا تفلقي شخصيتان مسطحتان جامدتان لا تؤثران في الأحداث، لكنهما موضع خوف الأم عليهما، فعملت على حمايتهما من شر هذا الطفل الغريب الشرير. وترمزان إلى نظام الأسرة وحرص الآباء على سلامة الأبناء وطاعة الأبناء لمطالب الآباء.

شخصيات الخير والشر:

شخصية الخير : هي شخصية المرأة للا تفلقي التي خلصت الناس من الغولة الشريرة وأنقذت بنتيها من شر الطفل الغريب .

شخصية الشر: الغولة هي شخصية الشر . وهي دائما عنوان الشر لأنها تخيف الناس وتكيد له المكائد. وبها نخيف الأطفال في القرى في السابق. والطفل الغريب ويرمز إلى النصب والاحتيال.

الحبكة والأحداث: تتميز القصة الامازيغية بشكل عام بتسلسل في الإحداث الى النهاية لكن لشخص الحاكي دور رئيس في الحفاظ على التسلسل او الإخلال به عبر تصرفه في النص بالتقديم والتأخير أو الزيادة والنقصان وأحيانا نسيان الأحداث والرجوع الى الخلف للاستدراك ثم الإتمام مما يكسر التسلسل. وبالنظر إلى القصتين موضوع التحليل نجد أن الأحداث تميزت بالتسلسل في الاتجاه نفسه بداية فعقدة ثم حل في القصتين معا؛ أما في القصة الأولى فقد اعتقدت للا تفلقي أنّ التي كانت تناديها لتذهب معها إلى المحطاب هي إحدى رفيقاتها، ولكن في الطريق ومن خلال تصرفاتها اتضح أنها غولة وليست رفيقتها، ففكرت بطريقة تتخلص بها من الغولة .. وكانت حيلتها ادعاء أنها نسيت أدوات قطع الحطب في البيت، ولذلك فهي مضطرة للعودة معها إلى البيت.. وأما في الثانية فبعد أن شفقت المرأة على الطفل الغريب وأخذته إلى بيتها حيث تعيش مع طفلتيها طفلتيها .. اتضح بعد ذلك أنّ الطفل غريب الأطوار وأنه طفل شرير وغير طبيعي وهو عنصر من عناصر الشر، من خلال تغير طوله المفاجئ وتوكيده على أنه سيتناول كل الطعام ثم المرأة .. فقررت المرأة أن ترسل طفلتيها خارج البيت دون أن يلاحظ الطفل الغريب، ثم جاء الحل في الأولى بالتخلص من الطفل الغريب بحيلة ذكية. وفي الثانية إحراق الغولة بالنار لأن المعروف في الثقافة الامازيغية أن الغولة كالجن لا يغلبها إلا النار، فلا تموت الا حرقا.

الـزّمـان والمكان: الزمان والمكان في معظم القصص مجهول لذلك نكتفي بهذه الملاحظة العامة ولا نشير اليه الا حين نلاحظ تميزا في القصة وغالبا ما يكون الزمن مفتوحا في القدم غير محدود كان يا مكان في سالف الازمان للدلالة على «ديمومة الماضي وانفتاح الفعل الناقص على زمن غير محدود فـــ"ياما" تعني استمرارية تراجعية وليس استمرارية تقدمية»[17]. وبالنظر الى القصتين نجد أن الزمان غير معروف، وإنما تحكى على أنه في زمن ما، لكن عائلة أيت ألفقي ما تزال موجودة في بومالن دادس ويقال إن المرأة إحدى جداتهم دون تحديد علوها. وأما المكان

فمحدد في القصتين معا، وهو دوار امزيلن حيث تسكن عائلة ايت الفقي وهو حي ببومالن دادس التابع لاقليم تنغير بجهة درعة تافيلالت المغربية. وهذا مما يعتبر ضمن اللغة الواقعية في القصة الشعبية. وذكر في القصة الأولى امازير نمغرن: وهي مساحة ارضية عارية بدوار امزيلن كان الرحالة من منطقة تسمى امغرن ينزلون بها للاستراحة أثناء رحلاتهم الصيفية والشتوية.

اللغة والأسلوب : القصتان نقلتا باللهجة الامازيغية لمنطقة بومالن دادس المغرب، وقد جمعت بين اللغة الجمالية من خلال اللغة المعتمدة التي تظهر عليها البلاغة والمبالغة في كثير من الأحداث وأحيانا تنوب حركات الراوي وإيماءاته الجسدية عن الصور البلاغية من مثل تجسيد الغولة وتصوير حركات الغلام الغريب. واللغة الواقعية من خلال اللغة الواقعية ممثلة تصوير بعض الأحداث التي تحمل طابعا واقعيا من مثل عادة النساء وطرق الطبخ في المناطق البدوية واللغة المحكية.

الخيال : القصة تبدو كلها خيالا لأنها خرافية من نسج الخيال من خلال نقلها بالمشافهة من جيل لآخر، لكن الراوي يحاول ان يضفي عليها الطابع الواقعي عبر اللغة الواقعية من توظيف أسماء حقيقية وأماكن معروفة وظرف واقعي، الفجر مثلا، إلى جانب اللغة الخيالية.

القصتان موضوع الدراسة يبدو عليهما الخيال من خلال نقلهما بالمشافهة من جيل لآخر ، وتضمنهما لأحداث لا يصدقها العقل لكن دور الراوي انه يحاول دائما أن يبعث فيها الحياة ويضفي عليها الواقعية عبر إشارات من مثل اسم المرأة المعروف والمكان وعادة نساء القبيلة في اللقاءات المسائية ونوع الطعام المفضل والسائد من ان الوحش هو من يأكل لحم البشر ولا يشبع مهما أكل وانه له جسم غريب، والغولة ذات الطابع الأسطوري الشائع في الحكايات الشعبية لدى مختلف الأمم.

القيم : القيم واضحة في القصة تتمثل في ما تتميز به المنطقة من التضامن والإحسان إلى ابن السبيل والتضحية من اجل الأبناء والشجاعة في مواجهة المواقف الصعبة والحرص على العرض والشرف الذي ترمز له دائما العذراء.

الدلالات: نكران الجميل الذي واجهته المرأة للا اتفلقي من الطفل الغريب الذي عطفت عليه ومن الغولة التي تنكرت في صورة المرأة البدوية التي تبكر إلى الحطب. وهذا موجود في عصرنا الحالي هناك الكثير من يقابل الحسنة بالسيئة.

البناء: القصة عبارة عن سرد أخبار ليس إلا والأحداث فيها متعاقبة . لكن نهاية هذه القصة لم تكن واضحة، إذ ركل الباب برجله فثقبه وتوقفت القصة، فالنهاية هنا مفتوحة. بالنسبة للطفل الغريب واحراق الغول بالنسبة للقصة الأخرى غير ان هذا لا يعني النهاية فا نعرف هل ماتت ام انتقمت وتبقى النهاية مفتوحة للتأويل.

العبرة: الكرم قيمة محمودة لكن يلزم الاحتراس في منح الثقة ، فإكرام اللئيم لا يرجى منه الخير والثقة في الشرير قد توقع في مشكل. لكن وكما يقال النية الحسنة تيسر لصاحبها سبل الخلاص والنجاة.

التجربة والرأي: صراع الشر والخير موجود في كل الأزمنة في الماضي كان أجدادنا يرون في الغولة والجن عنصر الشر .. لكن في زماننا تمثل الشر في البشر كما تمثل في الغولة، استعمار وإنسان متجبر وغير ذلك . فعلى الإنسان أن يكون حذرا في التعامل مع الاخرين.

نتائج وتوصيات ، خلصت هذه الدراسة الى نتائج منها:

أن القصص مقتبسة من الواقع ومن التقاليد والعادات وتأثرت بالجانب بالديني وهو ما تعكسه المقدمات من خلال حب النبي والثناء على آل البيت. اظهرت صورة المراة المشاركة للرجل ودورها الريادي في التضحية والشجاعة

تتميز الحكايات بالعقدة الفنية القائمة على الطريقة الابداعية للمراة الراوية بالتشويق والاثارة واظهار دور البطل في التغلب على المصاعب والمعوقات.

ان القصة الامازيغية تحمل عبرا وعظات لذلك تخدم اهدافا تربوية ويمكن ان تساهم في تقوية الانظمة التعليمية في مجال تدريس اللغة الامازيغية.

أن موضوعات القصص تتشابه في كل الامم مما يفيد كونيتها وصعوبة ميز الأصل من الفرع. ففي كل الأمم نجد الغول والنصب والغدر وغيرها من الأحداث التي لا ترتبط ببيئة وانما تطبع البشر.

ان الحديث عن الادب العالمي يمكن ان ينطلق من التراث الشعبي المبني على الفطرة والبعيد عن الصنعة، فهو الذي يعكس نوعا من المشترك الانساني في الانتاج الادبي.

ساهمت القصة، بالإضافة إلى الجوانب الأدبية الأخرى، في المحافظة على الهوية الامازيغية بالرغم من الاهمال والاقصاء لعدة قرون. فالقصة الشعبية تمثل جزءا مهما من التاريخ، ومن تم يمكن للمؤرخين الاستفادة منها في التأريخ للمنطقة.

التوصيات:

إجراء دراسات متخصصة لدراسة الأدب الامازيغي والمغربي لانقاذه من الضياع والانقراض.

جمع الادب الشعبي الامازيغي والمغربي وتحليله ونشره ومقارنته بالموروث الثقافي مع دول مجاورة .

عقد ورش عمل وندوات ومؤتمرات للأدب الشعبي الامازيغي والمغربي والعربي بشكل عام.

ضرورة احداث مؤسسات للعناية بتدوين التراث الامازيغي والمغربي وتحقيقه وحفظه وصيانته.

توجيه الباحثين ذوي المعرفة باللغة الامازيغية الى البحث في المجال جمعا وتحليلا ودراسة.

ضرورة ادماج الحكاية والقصة الشعبية الامازيغية في برامج التعليم فهي تشجع على تعلم اللغة كما انها تساعد على فهم التاريخ.

الملاحق : [18]

ملحق :قصة للا اتلفقي والطفل الصغير

صلوا على النبي

أعيدوا الصلاة عليه لتفرح الملائكة

أعيدوا الصلاة عليه ليقنط ابليس

كان يا ما كان كانت في دوار امزيلن امرأة، ما المرأة الا السيدة فاطمة بنت النبي وبنت الرسول، تدعى للا اتلفقي من عائلة ايت الفقي، تذهب بعد الفجر من كل صباح للحطب من الجبال، برفقة صديقاتها من نساء الدوار، وذات صباح بينما هي تنتظر رفيقاتها كالعادة، إذ نادت عليها مَّا تارير (الأم الغولة) باسمها، إذ يقال إنها تعرف كل واحد باسمه، للذهاب للحطب، أجابتها للا اتلفقي: لم يحن الوقت بعد، غير أن ما ترير تصر على الانطلاق، قائلة: بل لقد فات الوقت، لقد تأخرنا كثيرا وسبقتن الرفيقات، وافقت للا اتلفقي في الاخير، معتقدة أن المنادية احدى صديقاتها، ولما بلغ مكانا يسمى امازين نمغرن، اقتلعت الغولة بقوة خارقة نبتة كبيرة من العوسج (اكراز) باليد دون استعانة بالمعول، فأمسكتها بين يديها ثم بدأت تشير بها بقوة يمينا وشمالا، انتاب الخوف للا اتلفقي مما رأت وأدركت أن رفيقتها هي الغولة ، فبدأت تفكر في حيلة تنجو بها وتخلص الساكنة من شر الغولة، فقالت لها:

رفيقتي لقد نسيت المعول في البيت، ولا استطيع الحطب بدونه، فهيا معي الى لاحضاره ثم نعود بسرعة للحطب.رجع الاثنتان، فلما بلغتا البيت، طلبت للا اتلفقي من الغولة ان تنتظر في الخارج.

دخلت للا اتلفقي فاوقدت الحطب في ألمسي، وهي تنتظر لتسحب منه الجمر. احست الغولة بتأخرها، فنادتها: اين انت لقد تأخرنا كثيرا؟

وللا اتلفقي تطمئنها بالقول انتظري اني ابحث عن كذا وكذا .لما تأكدت للا اتلفقي من شدة الاشتعال، سحبت الجمر في أزوي (شقفة من خزف) فصعدت به إلى السطح، ثم نادت رفيقتها من هناك قائلة: ارفعي رأسك وانظري الي.

رفعت الغولة رأسها، فسكبت عليها الجمر .

سقطت الغولة ارضا فبدأت تتمرغ في التراب بارنارن (مساحات ارضية مهيأة للدرس)، وهي تصيح: احترقت وتفحمت يا ايت الجمارا، ويتساقط شعرها الاحمر فيلتصق بالعوسج (أخلال) إلى ان تفحمت كليا، وظل شعرها ينبت على العوسج الى الان،تركتها في الشر و اتيت في الهناء

ملحق قصة الطفل الغريب

كان نساء البلدة، في المساء وبعد انهاء أشغال البيت يجتمعن في اماكن معروفة بإسمر (اماكن للتكيف بالدفء تحت أشعة الشمس صيفا والبحث عن الظل المعتدل شتاء وهروبا من قساوة جو البيت)خارج البيوت للتسلية بالحكايات الشعبية وتبادل الاخبار والحديث، وفي يوم من الايام جلست للا اتلفقي مع صديقاتها في اسمر كالعادة، ثم انصرفت النسوة، وبقيت وحيدة إلى أن تأخر الوقت واشتدت ظلمة الليل، وفي طريقها الى مأواها الصغير صادفت طفلا صغيرا جالسا بمفرده، اشفقت عليه، وقالت في استغراب:

ياه احداهن رمت بابنها هنا وانصرفت، هيا معي يا ابني.

حملت الطفل على ظهرها الى البيت، حيث تعيش مع طفلتيها. جلس الجميع في مكان الطبخ (ازغي) كالمعتاد خاصة في فصل الشتاء للدفء، فلما بدأت للا اتلفقي تعد الكسكس للعشاء، لاحظت أن الطفل بدأ يكبر بشكل سريع، فلما وضعت المقدار الذي تراه كافيا من الكسكس ليتبخر، نظر الى الاناء باستهزاء ثم قال: ايه، سأكل هذا ثم أكلك يا للا أتلفقي

أجابته: لا يا ابني إن لم يكفينا هذا زدنا غيره، فتضيف كمية أخرى من الكسكس، ويعيد الولد نفس التعليق: سأكل هذا ثم انت يا للا اتلفقي، وهكذا دواليك.

أحست المرأة بالخوف فأرادت أن تبعد ابنتيها عن الخطر أولا دون ان يحس، فقالت لاحداهما بذكاء: اذهبي يا بنتي عند فلانة واطلبي منها كذا، فهمت البنت القصد من كلام امها فانصرفت دون ان تعود.ثم ارسلت الثانية بنفس الطريقة. بعدها فكرت في طريق للتخلص من الطفل الغريب، فقالت له هيا معي يا ابني لنحضر الحطب من الخارج.

صدق الطفل قولها فرافقها، وحرصت على أن يسبق لتنفذ خطتها، وبمجرد خروجه اغلقت عليه الباب بالقوة، حينها أدرك الطفل أن القصد هو التخلص منه، فرجع الى الخلف ليستجمع قواه، ثم ركل

الباب برجله بقوة كبيرة اقلعت منه شقفة (جزءا) فبقيت امارة ضربته في باب منزل ايت الفقي واضحة ودالة على واقعية القصة.

ملحق قصة الرجل الذي أحلى أباه

يحكى انه في احد المناطق دون تحديد، كان رجل يعيش مع أبيه لوحدهما، ثم تزوج الابن بامرأة، فكرهت اباه، وخيرت زوجها بينها وبينه، وأصرت على موقفها، وذات يوم أمرته ان يذهب بأبيه لقتله أو اجلائه حيث لن يعود، استجاب الزوج لطلب زوجته، فحمل الاب على ظهره قصد اجلائه، وفي طريقهما إلى مكان تنفيذ أمر الزوجة، أحس بالتعب فأسند ظهره قليلا إلى صخرة للاستراحة، ثم اتم المسير الى حيث أجلى والده ثم رجع .

مرت الايام فانجب الابن ابنا، ثم كبر ابنه، فتزوج من امراة، فكرهت هي الاخرى أباه وامرته بقتله أو على الاقل اجلائه في مكان لا يرججى أن يعود منه.حمل الابن اباه على ظهره، متوجها الى مكان القتل او الاجلاء، وفي الطريق احس بالعياء فأسند ظهره قليل الى صخرة للاستراحة قبل متابعة السير، فقال له ابوه:

أتذكر انني هنا استرحت لما حملت ابي الى حيث اجليته

فقال له الابن في دهشة: أوا قد أجليت اباك

قال نعم وقد سلكت به نفس الطريق من هذا المكان،

حينها تنبه الابن لما فعل فارجع الاب و لم ينفذ امر الزوجة وخيرها بين ان تقبل بالعيش مع والده أو ان تنصرف الى بيت اهلها.

ملحق قصة الدم المغدور

يحكى أن صديقين في منطقة قرر السفر معا إلى مكان ما، فحمل معهما من الزاد، فلما وصل إلى منبع ماء جلسا للأكل والاستراحة. طلب أحد الأصدقاء من الثاني أن يحلق رأسة بسكين معد لذلك إذ لم تعرف الشفرة حينئذ، فاستجاب الصديق لطلب صديقه، وبدأ يحلق رأسه وذقنه ولحيته فلما أشرف على انهاء المهمة، قال لصديقه ما ذا لو قتلتك هنا ودفنتك

أجابه الصديق:ظنا منه انه يمزح: ان اردت أن تخون الامانة فافعلوالله من فوقك شهيد

استجاب الاول لنزوة الشيطان فقتل صديقه ثم دفنه واستمر في سفره

وبعد زمان طويل تذكر صديقه فقال: سأذهب لزيارة صديقي وارى ماذا فعل الدهر بقبره

وجد على قبر صديقه دالية ممتلئة بعنب لم ير له نظير من قبل وفي فصل غير الفصل المألوف فيه

تعجب مما رأى وقال: هذا العنب لا نظير له الان في مكان ما ساهديه للامير لانال الحظوة والتقرب منه، ملأ خرجه بالعنب، وذهب به الى الامير

جاء فوجد الحراس فقال لهم أريد مقابلة الامير

فرفضوا ذلك قاءلين: ان الامير غير مستعد لاستقبال احد

فاصر على الدخول وبلغ الامير اصراره فاذن له بالدخول

قال له الامير: ما الخطب

اجاب جئتك بعنب فريد وفي غير وقته زأردت أن أهديك اياه بنفسأعجب الامير بموقف هذا العنضر من رعيته فانتظر اخراج العنب من الخرج

فتح الرجل الخرج فسقط منه رأس صديقه المقتول يقطر دما

فسأله الامير عما وقع

فحكى له الحكاية كما هي معترفا بقتل صديقه.

ملحق قصة سيدنا داود والمسلم

يحكى أن سيدنا داود كان حدادا صديقا لرجل مسلم، وكان للرجل المسلم صديق نصراني، وذات يوم أراد سيدنا داود أن يرحل من المنطقة، فارسل في طلب صديقه المسلم فجاءه بصحبته صديقه النصراني. فقال سيدنا داود لصديقه المسلم: اني ارغب في الرحيل من هنا الى مكان ما، فغدا صباحا جئني على الساعة الفلانية لتتسلم تحانوت (محل عمل الحداد مجهزا بلوازم حرفته)

قال له الامازيغي نعم سأفعل

سمع الرجل النصراني ما دار بين النبي داود عليه السلام والرجل المسلم، فغار من صديقه المسلم، وحرص على ان يكون السباق الفائز بأملاك سيدنا دواد.

في الصباح الباكر من اليوم الموعود جاء الرجل النصراني الى داود عليه السلام في الوقت المحدد قبل الرجل المسلم، فطرق عليه الباب قائلا: لقد جئت كما اتفقنا

فقال له اذهب الى الحانوت وخذ جميع ما فيه من أدوات العمل وتجهيزاته.

ففعل النصراني و لم يترك إلا قليلا من الفتات لم يجد كيف يحمله في رف صغير (تموجيت)

وبعد ذلك وفي وقت متأخر حضر الرجل المسلم الى سيدنا داود فطرق عليه الباب وقال له لقد جئت اين ما وعدتني به ، فقال له سيدنا داود

الله يهديك لان افكاكن اونتن لان اكتمي قلن زارس، اذهب فخذ ازنديرن نغ نتموجيت (تلك القطع المتبقية من الحديد في أحد الرفوف)

ومن هنا اغتنى النصراني وامتلك كل شيء واكتفي المسلم بمهنة الحدادة، ولو كان المسلم السباق لكان العكس.

ملحق قصة المسلمة واليهودية

كان يا مكان في قديم الزمان كانت مسلمة ويهودية صديقتان، وذات يوم أرادت اليهودية أن تختبر المسلمة، فأخذت الهون الخشبي وكفنته، ثم قال لصديقتها المسلمة في دهشة: صديقتي قدر على أن أنجبت طفلا غير شرعي، فأعينيني على إخفائه.

تعاونت الصديقتان على دفن الطفل في فرن ترابي.

مرت الأيام فأرادت اليهودية ان تختبر وفاء المسلمة واخلاصها للصداقة، فاختلقت شجارا بينهما، وقالت اليهودية للمسلمة: قلي ما شئت الا امر الفرن الترابي

أجابت المسلمة في هدوء: امر الفرن هين، ان احترق الخبز صنعنا اخر.

حينها تعجبت اليهودية لخلقها، فقالت لها حبيبتي، كان الامر مجرد تجربة، لم أنجب طفلا وانما صنعته من الهون الخشبي لاختبرك، والان ادركت انك قمة في الوفاء والاخلاص، وستظلين صديقتي المقربة على الدوام..

الهوامـــش

1) أفقير، محمد: الأدب الامازيغي المغربي المعاصر، لمحة عامة، في : مجلة الفرقان، الدار البيضاء، ع46 (2001) ص ص104-109) .

2) المصدر نفسه.

3) أسويق، محمد: الأدب الشعبي الأمازيغي وسؤال الحداثة، الحوار المتمدن-العدد: 3206 - 2010بتاريخ 12/5/ 2010,

4) الحكاية الشعبية تأخذ الطابع الخرافي ، أما القصة الشعبية واقعية.

5) مدرصي، حفيظة: الحكاية الشعبية: تربية وتواصل بين الماضي والمستقبل، في: (الحكاية الشعبية في التراث المغربي موضوع ندوة لجنة التراث بالمشاركة مع الجمعية المغربية للتراث اللغوي، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 22ـــ 23 شتنبر، 2005 ص ص 119ـــ 134)،ص 123.

6) صديقي، فاطمة: الحكاية الشعبية الامازيغية، في: (الحكاية الشعبية في التراث المغربي موضوع ندوة لجنة التراث بالمشاركة مع الجمعية المغربية للتراث اللغوي، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 22ـــ 23 شتنبر، 2005 ص ص 195ـــ 206).، ص.ص.195ـــ196.

7) موحى الناجي، توظيف الحكاية الشعبية الامازيغية في المجال التربوي، ص. 209.

8) ينظر فيما يتعلق بلغة الحكايات المصدر نفسه، 211.

9) جميل حمداوي: خصائص الحكاية الشعبية الأمازيغية بمنطقة الريف، صحيفة المثقف، العدد: 2574 الاحد 22 - 09 - 2013م.

10) أقضاض، محمد وآخران: إشكاليات وتجليات ثقافية في الريف،مطابع أمبريال، سلا، المغرب، الطبعة الأولى سنة 1994م.، ص.84.

11) رشيد، الحسين: الحيوان في الأمثال والحكايات الأمازيغية، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي،الرباط، الطبعة الأولى سنة 2000م ، ص.ص.18ـــ19.

12) جميل حمداوي: خصائص الحكاية الشعبية الأمازيغية بمنطقة الريف، صحيفة المثقف، العدد: 2574 الاحد 22 - 09 - 2013م.

13) الناجي، موحى: توظيف الحكاية الشعبية الامازيغية في المجال التربوي، في : (الحكاية الشعبية في التراث المغربي موضوع ندوة لجنة التراث بالمشاركة مع الجمعية المغربية للتراث اللغوي، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 22ـــ 23 شتنبر، 2005، ص ص 206ـــ 227)، ص. ص.215ـــ216.

14) المصدر نفسه، ص.216.

15) المصدر نفسه.

16) القصتان مترجمتان الى اللغة العربية ومثبتتان في الملحق

17) النصير، ياسين: المساحة المختفية قراءات في الحكاية الشعبية، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1995، ص.ص.60ــ61.

18) جمع القصص الباحثة د. مليكه ناعيم وقامت بالتسجيل عن والدتها وترجمتها الى العربية..